# تحديات حركة حقوق الإنسان في العالم العربي*

بهي الدين حسن

ولدت حركة حقوق الإنسان في العام العربي منذ نحو عقدين ، ففي النصف الثاني من السبعينات نشأت أربع منظمات : واحدة في فلسطين ، والثانية في تونس ، واثنتان في مصر . وبينما ما زالت "الحق"** تعتبر من اكثر منظمات حقوق الإنسان العربية ديناميكية ، فإن التونسية تمر بأزمة عنيفة في إطار الاستقطاب الحاد بين الأصوليين والحكومة ، وسقطت إحدى المنظمتين المصريتين في يد الحكومة المصرية وانكمشت الثانية في إطارها المحلي الضيق - مدينة الإسكندرية - لتنبعث حركة حقوق إنسان جديدة في مصر منذ نحو عشر سنوات . إن ميلاد واندثار وأزمات وحياة المنظمات الأربع يلخص بشكل أو بآخر مسار وشروط عمل حركة حقوق الإنسان في العالم العربي .

تضم الآن حركة حقوق الإنسان في العالم العربي أكثر من ٢٥ منظمة قطرية وثلاث منظمات إقليمية ، هي المنظمة العربية لحقوق الإنسان ، والمعهد العربي لحقوق الإنسان ، ومركز القاهرة لدراسات حقوق الإنسان ، بالإضافة إلى عدد غير محدد من المنظمات الصغيرة في كل من فلسطين ولبنان وهناك عدد من مراكز حقوق الإنسان في الجامعات ، ولجان الحريات وحقوق الإنسان في عدد من النقابات والاتحادات الإقليمية المهنية العربية ، ومجموعات لمنظمة العفو الدولية في خمسة بلدان عربية ، ويعمل نحو ٨٠٪ من هذه المنظمات في مجال الرصد والرقابة وحماية حقوق الإنسان ، بينما يركز الباقي على مهام التوعية والتعليم والمساعدة القانونية وتأهيل الضحايا ، وهي بذلك تغطي مجالات العمل الأساسية لحقوق الإنسان ، وبفضلها صارت سجلات الحكومات العربية في مجال حقوق الإنسان مفتوحة أمام الرأي العام العربي والدولي .

لقد جاء ميلاد حركة حقوق الإنسان مواكبا للحظة تاريخية هامة .، وهي دخول العهدين الدوليين لحقوق الإنسان حيز النفاذ ، ثم ترجمتها إلى عشرات الإعلانات والاتفاقيات المفصلة التي تغطي مختلف جوانب حقوق الإنسان ، ولتصبح حقوق الإنسان شيئاً فشيئاً قضية عالمية ، وتتأكد حقيقة أن حمايتها تتطلب قبل كل شيء حركة عالمية

*تقرير عرضه الكاتب على الإجتماع التشاوري الإقليمي الذي نظمه مجلس الكنائس العالمي ومجلس كنائس الشرق الأوسط حول نشاط الكنائس في مجال حقوق الإنسان - ليماسول قبرص ، ١ - ٥ ديسمبر ١٩٩٥.

**منظمة فلسطينية أنشئت في ١٩٧٩، وتعتبر من أكثر منظمات حقوق الإنسان فاعلية ونشاطا في العالم العربي، وخاصة في الفترة السابقة على إتفاق أوسلو.

تضامنية انطلاقاً من وحدة المبدأ ، ومن محدودية قدرة أى منظمة محلية على مواجهة حكومتها الاستبدادية .

و يمكن القول أن ميلاد حركة حقوق الإنسان العربية قد جاء تلبية لاعتبارات موضوعية :

١ - تزايد الوعى العام بقيمة الديمقراطية وحقوق الإنسان على ضوء الفشل المزمن للأنظمة السياسية العربية التى قدمت قيم العدالة الإجتماعية والتحرر الوطنى كمبرر للتضحية بحقوق الإنسان .

٢ - عجز الأحزاب السياسية عن استيعاب المتغيرات الهائلة التى جرت خلال العقود الثلاثة الأخيرة .

٣ - صعود حركة الإسلام السياسى فى العالم العربى ، بأجندتها التى تبشر بلون جديد من القيود على حريات الرأى والتعبير والدين والعقيدة والمرأة . واكتشاف المثقفين فى حركة حقوق الإنسان مناضلا جريئا وصلبا عن هذه الحقوق لا يخضع للابتزاز باسم الدين.

٤ - إرهاصات الاستقطاب العنيف بين النظم الحاكمة العربية والحركة الإسلامية .

٥ - تزايد حساسية عدد من الأنظمة العربية لصورتها الخارجية أمام المجتمع الدولى ، ولنقد سجلها فى مجال حقوق الإنسان فى الخارج . وفى هذا الإطار يصبح مفهوما لماذا نشأت وازدهرت حركة حقوق الإنسان حيث وجدت أكثر الأنظمة العربية حساسية لسمعتها الدولية : مصر ، تونس ، المغرب ، وفلسطين ( الحكومة الإسرائيلية بالأراضى الفلسطينية المحتلة ) .

غير أن هناك عوامل أكثر أهمية تلعب دورا فى تحديد مستقبل هذه الحركة بشكل عام أو فى كل بلد على حدة وهذه العوامل هى :

١- الإفتقار إلى الشرعية القانونية ، أو الطعن فيها .

٢ - الافتقار الى الشرعية السياسية نتيجة النظرة السائدة إليها إما باعتبارها امتدادا لجسم خارجى ، أو باعتبارها رديفا للمعارضة السياسية ،و هى نظرة تشترك فيها كل من الحكومات وأحزاب المعارضة .

٣ - الافتقار إلى الشرعية الثقافية .

٤ - الافتقار إلى قاعدة اجتماعية ، ومظاهر ذلك :

* تدنى قيمة الديمقراطية فى الثقافة السياسية لصالح قيم التحرر الوطنى والعدل الاجتماعى .

* ضعف التيار السياسى الليبرالى .

* فقدان الثقة بينها وبين التيارين الماركسى والقومى اللذين لهما وزن وتأثير كبيرين فى الساحة السياسية والثقافية.

* العداء الشديد الذى يكنه التيار الإسلامى لها ومواجهته لها بأجندة بديلة لحقوق الإنسان ، وجهود لإنشاء حركة بديلة .

* الحرب الضارية التى تواجهها من الحكومات والتى تؤدى لإجهاض الجهود المضنية للبناء التراكمى البطئ لنواة قاعدة اجتماعية .

* ضعف الثقافة المدنية وحداثة المجتمع المدنى العربى وهشاشة مؤسساته بحيث يعجز عن تقديم الحماية والقاعدة لها .

لقد أدت هذه المعطيات إلى وضع الحركة العربية الناشئة لحقوق الإنسان أمام خيارات صعبة ومريرة بشكل يومى:

١- التهادن مع الحكومات لصالح ضرب ما يعتبره البعض أكثر خطراً ، أى الإسلام السياسى .

٢ - التهادن مع الأجندة الفكرية والأيدولوجية للإسلام السياسى فى مجال حقوق الإنسان ، حتى لا تنعزل عن المجتمع الذى يتعرض لعملية أسلمة سياسية وأيدلوجية متنامية .

٣ - التحالف مع أحزاب المعارضة السياسية ، وأحيانا الالتحام بها عضويا .

لقد أدى هذا الوضع الصعب إلى تعرض الحركة إلى مخاطر جمة :

١ - الإضرار بمهام البناء الداخلى ، وخاصة بنائها كمؤسسات ، وإتقان أساليب الإدارة الحديثة

٢ - سقوط مهمة التعليم وتحويلها إلى تلقين مقطوع الصلة بالتحديات اليومية للحركة ، وخاصة ما يتصل منها بالثقافة العربية .

٣ - عدم وضع استراتيجية متكاملة للتفاعل مع هذه المعطيات ، والإستغراق فى تفاصيل العمل اليومى والمجابهة اليومية .

لقد لعبت الحركة العالمية لحقوق الإنسان دورا هائلاً فى المنطقة ، وخاصة فى العقد الأول حيث كانت هى المصدر الوحيد للإعلام عن حالة حقوق الإنسان ، ولعبت دوا حاسما فى مد الحركة الوليدة بالخبرة وحمايتها من الضربات القاتلة التى استهدفتها ، إلى أن أصبحت المنظمات المحلية فى عدد من البلدان العربية هى المصدر الرئيسى أو الوحيد للمعلومات عن حقوق الإنسان الذى تستقى منه المنظمات الدولية معلوماتها . ويطرح هذا التصور إشكالية العلاقة بين المنظمات المحلية والعالمية ، فالدور المهم الذى لعبته الأخيرة فى مساعدة الأولى خاصة فى مرحلة التكوين الأولى ، لا يعنى بأية حال أن الحركة العالمية لحقوق الإنسان تملك ما تفتقر إليه الحركة العربية لحقوق الإنسان من استراتيجية . وملامح ذلك القصور يمكن أن نجدها فى :

* افتقار المنظمات الدولية إلى تحليل ملموس لطبيعة الوضع والتحديات التى تواجه حركة حقوق الإنسان فى المنطقة .

* الافتقار إلى تصور عن الأهداف فى كل وضع محلى على حدة .

* الافتقار إلى تحليل ديناميكى لطبيعة النظم السياسية فى المنطقة واستراتيجية التعامل معها .

* الافتقار إلى تشخيص ملموس لطبيعة منظمات حقوق الإنسان المحلية ، وماهو المطلوب لمساعدتها .

والأكثر أهمية هو أن الحركة العالمية لا تسعى لذلك ولا تدرك الأهمية الحاسمة لوضع استراتيجية خاصة بكل بلد على حدة بالتعاون بين مختلف المنظمات الدولية المعنية وبمشاركة المنظمات المحلية .